

التحليل التداولي للخطاب النبوي – أحاديث المعاملة أنموذجا -

The pragmatic analysis of the prophetic discourse

- hadiths of treatment as a model-

د. امحمد لقيدي

المركز الجامعي عبد الله مرسلني  
تيبازة- الجزائر  
lokmo@yahoo.fr

خير الدين لمونس\*

المركز الجامعي عبد الله مرسلني تيبازة-  
الجزائر.  
مخبر الممارسات الثقافية والتعليمية  
والتعلمية في الجزائر

lemounes.khayreddine@cu-tipaza.dz

المعلومات المقال	المخلص:
تاريخ الإرسال: 2022/01/21	<p>أقبل الباحثون على دراسة اللغة منذ عصور قديمة، واتخذوا في ذلك مناهج متنوعة، مما إن يستقر منهج لردح من الزمن حتى يخلفه منهج آخر، وظل الوضع هكذا حتى ظهرت التداولية، التي استطاعت أن تتجاوز سؤال البنية والدلالة إلى سؤال الوظيفة والاستعمال، وبالنظر إلى مباحثها تُدرك أهمية الدرس التداولي في محاولة فهم الاستعمال اللغوي، من خلال السياقات المتعددة ومقاصد المتكلمين والعناية بالخطاب ومؤوليه، لذلك تسعى هذه الدراسة إلى محاولة تطبيق آليات المنهج التداولي على الخطاب النبوي، وتقفي ملامح هذا المنهج ومدى انفتاحه على المنجز اللساني.</p>
تاريخ القبول: 2022/04/16	
<b>الكلمات المفتاحية:</b> ✓ التداولية ✓ الخطاب النبوي ✓ أحاديث المعاملة ✓ آليات التحليل	
<b>Article info</b>	<b>Abstract :</b>
Received 21/01/2022	<p>Researchers have been studying language since ancient times, and they have taken a variety of approaches to that. The importance of the pragmatic lesson in trying to understand linguistic usage, through the multiple contexts, the intentions of the speakers, and taking care of the discourse and its culprits. Therefore, this study seeks to try to apply the mechanisms of the pragmatic approach to the prophetic discourse, and trace the features of this approach and the extent of its openness to the linguistic achievement.</p>
Accepted 14/04/2022	
<b>Keywords:</b> ✓ deliberative approach ✓ Prophetic speech	

## مقدمة:

شهدت الدراسات اللسانية الحديثة عدة مناهج في دراسة الظاهرة اللغوية ومحاولة كشف الجوانب المهمة التي تلامسها، إلا أن أغلب تلك التجارب كانت تبحث في اللغة من جهة البنية المجردة أو الدلالة فحسب، مهملة بذلك الظروف السياقية المحيطة وجانب الاستعمال، وظل الوضع هكذا رديحاً من الزمن حتى ظهرت التداولية بحلتها العلمية ومباحثها المتنوعة، التي استطاعت أن تتجاوز هذا التورث التقليدي إن صح التعبير، فانتقلت الدراسات من البنية والدلالة إلى دراسة اللغة في الوظيفة والاستعمال، واستفادت من تلك المناهج التي كانت مسمع القريب والبعيد، وأصبحت الرهان في الساحة اللسانية الحديثة والمعاصرة بمفاتيحها الإجرائية، انطلاقاً من الأفعال الكلامية إلى متضمنات القول والسياق والاستلزام الحوارية ونظرية الملاءمة وصولاً إلى القصديّة وغيرها من المباحث المهمة.

إلا أن هناك جملة من التساؤلات تطرح نفسها كإشكالية وهي: إلى أي مدى نستطيع تطبيق المنهج التداولي على الموروث البلاغي والأصولي واللغوي وبالأخص الخطاب النبوي؟ وهل توجد شروط منطقية يرسمها الباحث ومقتضيات منهجية تمثل منهجاً محكماً نستطيع من خلاله التأسيس لمنهج تداولي عربي مع الانفتاح على المنجز اللساني؟

وهل المقاربة التداولية يمكن أن تقدم لنا إضافة تُسهم في فهم مقاصد الخطاب النبوي؟ وأيضاً هل يستجيب المنهج التداولي فعلاً لضوابط تحليل الخطاب النبوي وفق البنيتين الداخلية والخارجية؟ للإجابة على هذه التساؤلات المنهجية، كان من المستحسن أن نتكلم عن قضية التداولية ومنهجها في الدراسة وبعض آلياتها وقضية الخطاب النبوي عموماً ثم نشعر في مقارنة تطبيقية. أما منهجية الدراسة فقد اعتمدت على إجراءات المقاربة التداولية بداية بالإشارة إلى الأفعال الكلامية ومتضمنات القول، والاستلزام الحوارية مع التركيز على السياق والقصديّة.

ويكتسي البحث أهمية كبرى كونه دراسة تطبيقية للخطاب الديني (الحديث النبوي) بآليات حديثة (المقاربة التداولية)، خاصة وأن الخطاب النبوي له أبعاد تداولية مهمة منها حمل المتلقين (المسلمين خاصة) على الفعل بأساليب متنوعة ترغيباً وترهيباً وتحريضاً وتسليّة وغيرها....

ولما كانت الدراسة تدور حول التحليل التداولي على أحاديث المعاملة، وهو باب واسع الأطراف والمداخل، اقتصرنا على باب معاملة النبي صلى الله عليه وسلم "للعصاة والمذنبين" مطبقين ذلك على حديث أبي أمامة "يا رسول الله ائذُن لي بالزنا" كنموذج واحد حتى يتسنى لنا النظر فيه والتدقيق في التحليل التداولي، تحريزاً من تفرع البحث واسترساله، بما لا طائل من ورائه، وضبطاً لما يمكن أن نجعله نتيجة وفائدة يحسن الرجوع إليها واستيعاباً لفوائد الخطاب النبوي في حديث واحد بمنهج تداولي.

2. البُعد التداولي: لما كان موضوع بحثنا يتناول قضية التحليل التداولي للخطاب النبوي، كان من المناسب أن نتطرق إلى التداولية مفهوماً ومنهجاً، وبعض مفاتيحها الإجرائية المهمة كالسياق والقصديّة لشدة ارتباطهما بالبحث تأصيلاً وتفريراً وتأييلاً ومقاربتاً.

1.2 مدخل حول التداولية: "" تتجه النظريات اللسانية المعاصرة اتجاهاً يُعنى بدراسة النظام الداخلي للغة، وعلاقة العناصر اللغوية ببعضها ببعض، بمعزل عن السياق الاجتماعي والثقافي الذي تستخدم فيه اللغة، وهذا الاتجاه يدرس اللغة بوصفها نصاً مغلقاً وليس خطاباً منفتحاً لا يركز على المعنى المقامي، ومن أبرز النظريات التي تمثل هذا الاتجاه البنيوية والنحو التوليدي، ونحو التعلق أو التبعية واتجاهها يدرس الاستخدام اللغوي، والضوابط التي تحكمه، ودور المقام أو السياق غير اللغوي في التواصل الإنساني، كما يُعنى بكل العلامات اللغوية وغير اللغوية ويُعنى بالمتكلم و السامع والعلاقة بينهما، ويهتم بقدرة السامع على الكشف عن مقاصد المتكلم ومن أبرز هذه النظريات التي تمثل هذا الاتجاه التداولية، والنحو الوظيفي، واللسانيات الاجتماعية"" (أحمد نخلة، 2002، الصفحات 57-58)

2.2/ مفهوم التداولية: للتداولية تعريفات كثيرة، منها ما هو مرتبط بالمصطلح، ومنها ما هو مرتبط بمفاهيمها الإجرائية، ومنها ما هو مرتبط بالخطاب ومستعمله وهذا الذي يعيننا في بحثنا.

يقول عبد الفتاح أحمد يوسف: ""تهتم التداولية بدراسة التواصل اللغوي داخل الخطابات والبحث في طبيعة العلاقة بين الأحوال الخطابية والأفعال الاجتماعية، ومن ثم التعامل مع الخطاب الإبداعي بوصفه تعبيراً عن تواصل معرفي اجتماعي في سياق ثقافي، فهي علم يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال"" (أحمد يوسف، صفحة 34)

لذلك توضح حياة لصحف: ""إن التداولية فرع من علم اللغة تبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو هي دراسة معنى المتكلم فالمتكلم كثيراً ما يعني أكثر مما تقوله كلماته، ومن هنا فإن أشمل تعريفاً للتداولية هي دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل، ونتيجة لذلك فإنه يمكن حصر العناصر التي يهتم بها المنظرون للتداولية في: المرسل وقصده و نواياه، و المتلقي، و الرسالة، و السياق، ثم أفعال اللغة."" (لصحف، 2013، صفحة 34)

ويقول أيضاً جميل حمداوي: ""لذلك نجد أن المقاربة التداولية هي دراسة العلامات في علاقة مع مستعملها ومن ثم، تركز اللغة على ثلاثة مكونات ضرورية ومتكاملة حسب شارل موريس هي: التركيب، و الدلالة، و الوظيفة... ومن هنا نجدتها تدرس الإشارات، والمقصدية، وأفعال الكلام، والوظيفة، والسياق، والإحالة المرجعية، و الحجاج اللغوي، و الإقناع، و الحوارية"" (حمداوي، صفحة 09)

3.2/ أهمية المنهج التداولي: يعد المنهج التداولي من آخر المناهج التي عُقد عليه الرهان في الساحة اللسانية المعاصرة، وهذا لتنوع مفاتيحه الإجرائية ومفاهيمه البحثية في العملية التواصلية وفق كل نوع ومستوى واستيعابه لجل العناصر اللغوية وغير لغوية في التحليل. تقول آمال يوسف المغامسي: ""إن المنهج التداولي عالج قصور الدراسات الشكلية وإهمالها لمقاربة اللغة في تجليها الحقيقي في الاستعمال التواصل بين الناس، فالتداولية كما يرى (ليفنسون) نشأت كردة فعل على معالجة تشومسكي للغة بوصفها شيئاً تجريبياً، دون اعتبار لاستعمالها ومستعملها ووظائفها.

فالمنهج التداولي باستطاعته حل بعض المشكلات التي أفرزها التحليل اللغوي الشكلي من وجهة نظر المتكلم والمخاطب معاً، فمن وجهة نظر المتكلم المشكلة هي مشكلة تخطيط لإنتاج ما يؤثر في المخاطب من خطاب وفقاً لمستوى توقعاته، ومن جهة نظر المخاطب المشكلة هي مشكلة تأويل الملفوظ للوصول إلى المعنى الذي يريده المتكلم، وهذه المشاكل لا يمكن حلها من خلال العلاقات المنطقية كما في النحو، ولكن من خلال تقدير ذهني ومحتمل من أطراف العملية التواصلية، وفقاً لعناصر السياق"" (يوسف المغامسي، 2016، صفحة 119)

القصدية:

""وتعد من أبرز المفاهيم التداولية المعاصرة، التي تهتم بقصد المتكلم في الخطاب والاستعمال، إذ أن الغرض أو القصد في تصور نحائنا القدامى هو الغاية التواصلية التي يريد المتكلم تحقيقها من الخطاب وقصده منه وعليه تكون "مراعاة الغرض من الكلام" في عرف أغلب النحاة قرينة تساعد في تحديد الوظيفة النحوية للكلمة وبيان دورها في التحليل النحوي للجمل وهي المعاني التي

تعارف عليها المعاصرون باسم "القصدية" وقد وجدنا إصراراً من بعض النُحاة على هذا المبدأ التداولي، وقد اعتمد النُحاة العرب ولا سيما الوظيفيين منهم، على مبدأ "مراعاة غرض المتكلم من كلامه" بوصفه قرينة تداولية قوية في الدراسة اللغوية وقد وجدنا عبد القاهر الجرجاني يعتمد ويدافع عنه في فهم الجمل والتراكيب اللغوية ولا سيما آيات القرآن الكريم"" (صحراوي، 2005، الصفحات 200-201)

ويرى "طه عبد الرحمان" إلى أن القصد هو ذاته المعنى وهو قائم عليه في أنواع المعاملات والعقود الشرعية وهو يحيلنا على ذلك المبدأ التداولي والذي سماه بمبدأ التصديق كما صاغه بقوله: "لا تقل لغيرك قولاً لا يصدقه فعلك" (عبد الرحمان، اللسان والميزان، 1998، صفحة 250). وهذا الذي سماه علماء الأصول بدلالة المفهوم (يقول الجويني في البرهان: المفهوم ما يستفاد من اللفظ وهو مسكوت عنه لا على ذكر له على قضية التصريح، ويقول الغزالي في المستصفى: هو فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة سياق الكلام و مقصوده). (حامدي، الصفحات 15-16)

**دور السياق :**

لا ينكر لساني دور السياق وأهميته في الدرس التداولي وقضية الاستعمال مع مراعاة قصدية المتكلم في الخطاب وفهم السامع ، من سياق الموقف وسياق الحال والسياق المقامي، لذلك كان لابد أن نتطرق لدور السياق في إيضاح المعنى و تحديده خاصة في الخطاب النبوي الذي له علاقة وطيدة بالسياق الذي قيل فيه وهو ما يعرف بأسباب ورود الحديث ، إذ لا يقل أهمية عن أسباب نزول الآيات.

يقول الشاطبي في كتابه الموافقات متحدثاً عن دور السياق معتبراً إياه من الأساسيات المحددة لقصد المتكلم: ((كلام العرب على الإطلاق لابد فيه من اعتبار معنى السياق في دلالة الصيغ ، وإلا صار ضحكة وهزة، ألا ترى إلى قولهم: فلان أسد أو حمار، أو عظيم الرماد، أو جبان الكلب ، وفلانة بعيدة مهوى القرط، وما لا ينحصر من الأمثلة لو اعتبر اللفظ بمجرد لم يكن له معنى معقول ، فما ظنك بكلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم)). (الشاطبي ، صفحة 140) ويقول محمود أحمد نحلة: (التداولية هي دراسة جوانب السياق التي تشفر شكلياً في تراكيب اللغة و هي عندئذ جزء من مقدرة المستعمل) (أحمد نخلة، 2002، صفحة 12)

**3 الخطاب النبوي :** يعد الخطاب النبوي أرقى ما وصل إلينا لغة وكلاماً وبياناً وسلوكاً، ضم بين حروفه المقدسة، تجارب الأمم ، وخبرات البشرية، وفرائد الفوائد، وشوارد الدرر، في عبارات يعجز اللسان عن وصفها، من تراثنا اللغوي الثقافي الإسلامي والفكري والاجتماعي ومكانته بعد القرآن الكريم لا يختلف فيها اثنان، فهو يشكل نقطه مهمة جداً في تشكيل الوعي اللغوي والإسلامي.

" فالخطاب النبوي هو كل ما صدر عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- من قول لساني محكي أو منقول أو فعل غير لساني (حركي) مُشاهد أو منقول إلى غير المتلقي المسلم، المعين هذا الخطاب في زمنه عليه السلام، أو السامع له، أو القارئ له في زمن بعده، في سياق تواصل لغوي معين، وموقف مثبت، يخضع لمعطيات ثقافية واجتماعية ونفسية ودينية..." (محمد علي عيد، 2001، صفحة 26) لذلك نجد عبد الرحمان الحاج صالح في معرض حديثه عن الخطاب والتخاطب يقول: ((هذا الجانب الكلامي الجاري بالفعل على الألسنة الذي تعرض له العوارض لا على الإطلاق بل في إطار النظرية اللغوية العربية التي اقتص بها علماء اللغة العرب النحويون منهم والبلاغيون ، وأهم ما تتصف به هذه النظرية هو التمييز بين اللغة وبين كيفية استعمالها في التخاطب، وهو تمييز حاسم وعميق لأنه يخص ماهية اللغة في حد ذاتها والدور التي تقوم به كلغة من جهة وكيفية استعمال الناطقين لها وهو الكلام أو الخطاب من جهة أخرى)) ( الحاج صالح ، 2012 ، صفحة 08)

**1.3 مقارنة تداولية تطبيقية على حديث يا رسول الله ائذُنْ لي بالزُّنا.**

## التحليل التداولي :

نص الحديث : عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إِنَّ فَتَى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائذَنْ لِي بِالزَّيْنِ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ! مَهْ! فَقَالَ: ادْنُهُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَأَمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأَخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ))، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. (ابن حنبل ، صفحة 256)

شرح غريب الألفاظ : الزجر: المنع والنهي، زجرته فانزجر. (زين الدين محمد و الصحاح، 2005، صفحة 139)

مَهْ مَهْ : اسم فعل أمر بمعنى أكفّف ( مجمع اللغة العربية، 1960)، وهنا في سياق الحديث بمعنى أسكت.

2.3 شرح الحديث بمقاربة تداولية : إن الناظر إلى هذا الحديث النبوي الشريف برؤية تداولية ، يرى منهج النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع العصاة والمدنبيين مطبقاً ومستوعباً لمعظم إن لم نقل كل المفاهيم والمفاتيح الإجرائية التداولية المعاصرة، مطبقة فيه كأسلوب وتقنية من التقنيات اللسانية التي تمد الخطاب بسلطة الإقناع والتأثير بين المرسل والمتلقي، من الأفعال الكلامية، و التكرار، والتفريع، والقياس المنطقي، والاستلزام الحواري ، والسلم الحجاجي، ناهيك عن السياق اللغوي والحالي والقصدية اللذين هما محور هذا الحديث ولبه. وهذا الذي نستطيع أن نصفه كما وصفه طه عبد الرحمان بـ "المجال التداولي أو التقريب التداولي" (عبد الرحمان، صفحة 245)

لقد انتفض الصحابة عند سماع الاستئذان في الزنا من الشاب، فزجروه: "مه مه"، أي اكفف واسكت ، لأن هذا الفعل آنذاك عندهم لا يفعله الشريف ولا تفعلها الحرة، فتعجبوا من صنيعه ولكن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إليه من زاوية أخرى، بل أبعد من ذلك -لم يشير أنه قليل الحياء أو الخير أو جريء إطلاقاً- ولكنه وضع ذلك ببيان مفسد مطلبه، وسوء عواقبه، وعلى أن هذه القضية اجتماعية ليست فردية يحكمها سياق ثقافي واجتماعي ونفسي وديني، وتخضع لظروف خاصة ، مع وجود البدائل الشرعية.

وهي فرصة للداعية القدوة في خطابه من خلال استغلال السياق المقامي في توجيه الخطاب للمتلقين ، فالخطاب هاهنا عام لعموم الحكم على جميع المسلمين كمتلقين، وإن كان سببه خاص من هذا السائل ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. فالفرصة سانحة إذاً لبيان فضاة الأمر بأعلى أسلوب وأتم بيان ، فانتقل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الأسلوب الحواري عبر تلك التساؤلات واستلزاماته المنطقية والعقلية و انطلاقاً من المقام إلى أعلى أدوات التأثير متبعا السلم الحجاجي و مستعينا بالأقوال اللسانية أو الأفعال غير اللسانية (الحركية) المشاهدة والإشارات كما سنبينه.

لا أعرف أيمكنني أن أقول أن النبي صلى الله عليه وسلم استغل سياق الموقف ودهشة الصحابة والحضور (المتلقين) من السائل استغلالاً طيباً ومناسبتياً في وقته، فلقد كان باستطاعته أن يقول للسائل هذا حرام بنص الآية، قول الله -عز وجل- في سورة النور: \*\*((الرَّانِيَةُ وَالرَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ))\*\* 02 سورة النور.

ويقول له وعقوبتك بعد ذلك إذا فعلت الجلد أو الرجم؟ وكان باستطاعته كذلك صلى الله عليه وسلم أن يجيبه مباشرة بالحكم بالجلد أو البيع أو غيرها كما في الحديث الآخر في الصحيحين من حديث أبي هريرة وزيد ابن خالد رضي الله عنهما لما سُئِلَ عن الأمة إذا زنت: فعن أبي هريرة وزيد ابن خالد الجُهَنِيِّ -رضي الله عنهما- أنه سُئِلَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- عَنِ الْأُمَّةِ إِذَا زَنَّتْ وَلَمْ تُحْصَنَ؟ قَالَ: [إِنْ زَنَّتْ فَاجْلِدُوهَا، ثُمَّ إِنْ زَنَّتْ فَاجْلِدُوهَا، ثُمَّ إِنْ زَنَّتْ فَاجْلِدُوهَا، ثُمَّ بَاعُوهَا وَلَوْ بِضَفِيرٍ] (فؤاد عبد الباقي، 2013، صفحة 341)، أي حبل مفتول.

ولكنه عدل عن ذلك إلى أسلوب أعلى وأرق وأحلى، التمسنا فيه جل المباحث التداولية المعاصرة كمنهج إجرائي تطبيقي لساني منطلقاً من سياق الموقف وتعجب الصحابة من المشهد المقامي والطبيعة الاجتماعية آنذاك، الذي تستدعي من المخاطب التوضيح والإفهام ومزيد بيان وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بأسلوب الاستفهام: أتجبه لأمك؟... الذي يبراد به الإنكار، وغرضه هاهنا التوجيه والإرشاد. ولا يخفى أن متضمن القول مبحث مهم كذلك في التداولية والتضمين قد يكون في كثير من الأحيان أقوى حجة من التصريح والمكاشفة.

كما نلاحظ أن أول شيء فعله النبي - صلى الله عليه وسلم - مع هذا الشاب، وظهر ذلك في تعامله برفق وعاطفة وبأسلوب آخر خلاف الزجر الذي سمعه من الصحابة في مقام وسياق ثقافي معين وخاص لا يحسدون عليه، فاستهل الحديث بالأفعال الكلامية: (ادنه)، (فدنا منه قريباً)، (فجلس فوضع يده عليه)، (ودعا له بقوله): ((اللَّهُمَّ اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه)).

فنلمس هنا أقوالاً لسانية وأخرى غير لسانية حركية أبلغ كجلوسه أمامه و دنوه و ووضعه يده على صدره، وهي من الأساليب الإقناعية في الخطاب النبوي للتأثير عموماً، ولم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بالإقناع بالأسلوب العاطفي، بل ضم إليه الإقناع بالأسلوب العقلي والانتقال من الأقرب فالأبعد بسلم حجاجي عجيب بقوله: (أتجبه لأمك؟) (أفتجبه لابنتك؟) (أفتجبه لأختك؟) (أفتجبه لعمتك؟) (أفتجبه لخالتك).

وكان يكفي قوله: أتجبه لأمك؟ لكنه عدّد محارمه زيادة في الإقناع، ودلالة على أن ما قد يأتي من النساء لا تخلو أن تكون أمّاً، أو بنتاً، أو عمة، أو خالة لأحد من الناس. وضربَ المثال هنا بالقرب من المحارم بدلَ الجار، مع أنه يوصي في أحاديث أخرى كثيرة بالجار، فيه دليل على خطورة الأمر، وإمعانٌ منه صلى الله عليه وسلم في الإفهام للسائل بأقرب ما يتصور أن يستشنع منه: الأم؟ والأخت؟، والعمة؟...

ولأنّ القريب كذلك مُشاهد محسوس بخلاف الغريب البعيد، لأنّ الذي تعامله عن قرب تشعر به وهذا ما يعرف بالمجاورة، وهو قريب جداً في مباحث التداولية بنظرية الملاءمة، فليست الملاءمة مقتصرة على العناصر اللغوية وتعالقها فحسب، بل تخرج حتى للظروف المحيطة بمختلف سياقاتها الاجتماعية والثقافية.

يقول صالح المنجد هاهنا: ((وهكذا استدلل النبي صلى الله عليه وسلم بقبح الزنا في أعين الناس، فإنهم لا يرضونه لأمهاتهم، ولا لبناتهم، ولا لمحارمهم، فعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، وما تكرهه لنفسك فاكتره للناس، فالإقناع العقلي إذا انضاف إلى خشية الله مما ينظر المذنب يوم القيامة من العذاب أصبح الحاجز أقوى وأقوى)). (صالح المنجد، 2016، صفحة

"" وهنا يتبين أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية وإنجاز مقاصد حجاجية وإفادة أبعاد تداولية "" (اقبالي، 2020) كما نلاحظ أسلوب التكرار في كلمات: أتعبه ، وكلمة تحبونه عشرة مرات ولا يخفى أن التكرار من أقوى أساليب التأكيد والإقناع اللساني، كما نلاحظ السؤال من النبي صلى الله عليه وسلم أتعبه؟ أكثر من خمسة مرات. ثم النفي بقوله: ولا الناس يحبونه؟ والتكلم نيابة عن الحضور بلسانهم، كأن ضميرهم ضميره وهو كذلك. هذه الأفعال الإنجازية القوية المؤثرة، أبلغ من الإجابة الخيرية المباشرة ، وهو أسلوب نبوي منهجه "" وما المسؤول عنها بأعلم من السائل "" في حديث جبريل المشهور ، إنما هو أسلوب تربوي ومنهج في البيان قوي لمزيد بيان واطمئنان، ولأنه قد يكون حُسن السؤال دليلاً في فحواه على قوة الإجابة بأبلغ بيان وإن كان تضييماً لا تصريحاً، وهو ما يعرف في المدونات الأصولية بدلالة المفهوم.

وكذلك لأن الفعل المتضمن في القول في المفاهيم التداولية هو المقصود من النظرية برمتها كونه الفعل الإنجازي الحقيقي الذي يريد المتكلم إيصاله للمتلقي على الوجه اللائق والملائم.

أما الجانب الأهم في المقاربة التداولية هو مبدأ القصدية المبني على الإفهام وبلوغ المعنى الأسى للمتلقي إذا هو الغاية التواصلية أو المعنى النهائي الذي يريد المخاطب إيصاله للمتلقي، فنلمحه في آخر الحديث كخلاصة لذلك التسلسل الإقناعي الحجاجي الهرمي، والاستلزام الحوارية المبني على السؤال ثم النفي له ، بثلاث عبارات أو جمل إشارية بالمفهوم التداولي، تبين المقصد من كل الحديث وهم: [ اغفر ذنبي، طهر قلبي، حصن فرج].

أ/ \*اغفر ذنبي: فيه إشارة على أن السؤال التبس بذنوب سواء بتشبيهه أو بسؤاله؟، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم له بالمغفرة.

ب/ \*طهر قلبي: إشارة منه صلى الله عليه وسلم إلى هذا الداء الخفي بأنه نجسٌ يجب التطهر منه .

ج/ \*حصن فرجه: إشارة منه صلى الله عليه وسلم وإرشاد إلى الدواء وهو التحصين والزواج ليذهب عنه ما يدور في ذهنه. وهذا ما يعرف في حقل المفاهيم التداولية بالفعل التائيري: "" وهو يعني الأثر (effect) الذي يحدثه الكلام لدى المخاطب أو السامع "" (أدراوي، 2011، صفحة 86)

فلا يخفى قوة الأثر الذي تركه الخطاب النبوي في نفوس السامعين والسائل بالخصوص ، بترك هذه الفاحشة واستقبالها في أعينهم، بقوله نافياً: "" ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، لبناتهم، لعمااتهم، لخالاتهم "" مستعملاً الفعل الإنجازي بقوته الإنجازية للتأثير والإقناع. فالحاصل والقصد من خلال هذه الكلمات النبوية الشريفة، وهذا الدعاء الذي أخذ بركته السائل هو بيان جرم وفضاعة الزنا كظاهرة اجتماعية خطيرة، ترجع انعكاساتها على جميع الأسر والأفراد، مفسدة للنسل، ممحقة للبركة، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم إيصال هذه المعاني بأعلى مراتب البلاغة ذات البُعد التداولي ، وأقوى معاني الحجاج ذات البُعد الإقناعي، وبأسى حوار استلزامي نابع من سياق الموقف، يستطيع كل قارئ منصف أن يستشف منه تلك اللغة المنطقية والاستلزامات الضمنية في الحوار، منتهياً بأسى تلك المفاتيح الإجرائية وهي القصد من كل تلك الممهدات، ليصل إلى غاية الغايات وهي الإفهام للسائل بأوجز عبارة وأقوى بيان، محققاً بذلك القصدية التي يروم المتكلم إبلاغها والسائل فهمها.

وفي ختام هذه المحاولة والمقاربة التداولية التحليلية على الخطاب النبوي من خلال أحاديث المعاملة توصلنا إلى النتائج التالية:

- أن الخطاب النبوي يستجيب طواعية مع المنهج التداولي ولا سيما في قضية السياق والقصدية ، بل في جل المباحث التداولية، بغض النظر عن الخلفيات الاستمولوجية والفلسفية للتداولية .

- أن الخطاب النبوي يعجُ بالقيم التداولية، لأن غايته حمل المتلقين على الفهم والإيضاح في جانبه العملي اليومي التعبدي، وهذا ما تسعى إليه التداولية في دراسة اللغة في الاستعمال، من خلال الأفعال الإنجازية والإستلزمات الحوارية والقصدية وغيرها....

- أن المنهج التداولي إضافة معاصرة في حقل الدراسات اللغوية من خلال استفادة الباحث من آليات التحليل التداولي في مزيد فهم بيان مقاصد الخطاب النبوي ، عن طريق تفكيك العناصر اللغوية والملفوظات، انطلاقاً من الأفعال الكلامية والسياق ومتضمنات القول ووصولاً إلى القصدية، وهذا ما يُسهم في تقريب بعض المعاني المعاصرة النبوية المرجوة من الخطاب.

-لمح في الخطاب النبوي استعمال الأسس المنطقية و الحجج العقلية في التأثير والإقناع، وهذا الأسلوب في الخطاب لا يتعارض مع أي منهج معاصر وضعي، وبالأخص التداولي، بل يزيده علمية وقوة في جانبه المعرفي والاستدلالي، وفي قضية مصادر التلقي.

-استيعاب الخطاب النبوي لجل الآليات التداولية في الدراسة والطرح، مع عدم التناقض مع المنهج التداولي في قضية الحجاج والقبول والتداول بل بالعكس، يشكل المنهج التداولي هاهنا لبنة مهمة في الفهم والكشف عن مقاصد الخطاب النبوي للمتلقين عبر مختلف الظروف، من خلال تعدد السياقات، وهذا الذي يحدد نقاط التماس بين الخطاب النبوي والمنهج التداولي.

- إمكانية التأسيس لمنهج تداولي عربي مع الانفتاح على المنجز اللساني، وهذا لشدة التقاطع و التعالق بين المباحث التداولية ومفاتيحها الإجرائية مع الموروث البلاغي الأصولي وبالأخص الخطاب النبوي، وقوة الارتباط للعناصر اللغوية وغير اللغوية في فهم الخطابات وعلاقتها بمؤولها أو مستعملها.

- استجابة المنهج التداولي لضوابط تحليل الخطاب النبوي خاصة في جانب البنية الخارجية مرهون بمدى فهم أسباب ورود الأحاديث والسياق الثقافي الذي يحكم الموقف، وضوابط الوحي باعتباره نصاً مقدساً، ورغم ذلك فإنهاصات الاستجابة واضحة للتوافق الكبير بين المفاهيم والملفوظات سواء في البنية الداخلية للخطاب النبوي أو الخارجية، مع التحفظ عن التأويل للنص النبوي بما لا يتوافق مع أدوات التأويل ومناهج الاستدلال والفهم الأول المتواتر عن الصحابة خاصة في القطعيات.

- تميز الخطاب النبوي بصفة الإعجاز والإيجاز، وهذا الذي يرومه المنهج التداولي في محاولة حفر تلك الملفوظات وربطها بسياقاتها وصولاً إلى غرض المخاطب وقصده في جانب الاستعمال.



- مجمع اللغة العربية. (1960). المعجم الوسيط.
- أحمد ابن حنبل . (بلا تاريخ). مسند الإمام أحمد ابن حنبل. لبنان: مؤسسة الرسالة.
- الرازي زين الدين محمد، و مختار الصحاح. (2005). بيروت: دار الكتاب العربي.
- الشاطي . (بلا تاريخ). الموافقات في أصول الشريعة. مصر: المكتبة التجارية الكبرى.
- العياشي أدراوي. (2011). الاستلزام الحواري في التداول الحواري (الإصدار 01). المغرب: دار الأمان.
- آمال يوسف المغاسمي . (2016). الحجاج في الحديث النبوي (الإصدار 01). تونس: الدار المتوسطة للنشر.
- جميل حمداوي. (بلا تاريخ). التداوليات وتحليل الخطاب. شبكة الألوكة.
- حياة لصحف. (2013). مصطلحات عربية في نقد ما بعد النبيوية. القبة، الجزائر: دار الخلدونية.
- طه عبد الرحمان. (1998). اللسان والميزان (الإصدار 01). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- طه عبد الرحمان. (بلا تاريخ). تحديد المنهج في تقويم التراث (الإصدار 02). المغرب: المركز الثقافي العربي.
- عباس اقبالي. (2020). أساليب الاقناع اللساني في الحديث النبوي. العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب (01)، 29-45.
- عبد الرحمان الحاج صالح . (2012). الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
- عبد الفتاح أحمد يوسف. (بلا تاريخ). لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة (الإصدار 01). لبنان: منشورات الاختلاف.
- عبد الكريم حامدي. (بلا تاريخ). قواعد المفهوم وأثرها في استنباط أحكام القرآن. قسنطينة، الجزائر: دار اليُمن.
- عريب محمد علي عيد. (2001). الخطاب النبوي في ضوء اللسانيات الاجتماعية. كلية الدراسات العليا الجامعية الأردنية.
- محمد صالح المنجد. (2016). كيف عاملهم صلى الله عليه وسلم (الإصدار 03). السعودية : مجموعة زاد للنشر.
- محمد فؤاد عبد الباقي. (2013). اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان. مصر: دار الحديث.
- محمود أحمد نخلة. (2002). أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. مصر: دار المعرفة الجامعية.
- مسعود صحراوي. (2005). التداولية عند العلماء العرب (الإصدار 01). بيروت، لبنان: دار الطليعة.